الحمد لله الذى خلقنى مصريًا

حكم الإخوان سقط نهائيا فى تمام الساعة الخامسة مساء الأحد الثلاثين من يونيو ٢٠١٣، وليس ساعة إلقاء الفريق أول عبدالفتاح السيسى بيان انتصار الثورة فى الساعة التاسعة من مساء الأربعاء الثالث من يوليو، فقد كانت مصر على موعد مع القدر يوم الثلاثين من يونيو، وجاءت بالضبط فى الموعد المحدد من حملة «تمرد لانطلاق الحشود إلى الشوارع والميادين، وتدفق فيضان بشرى هادر، أثبتت به مصر مقدرتها العبقرية على صناعة الثورات، وصنعت على عينها أكبر تجمع ثورى عرفه التاريخ الإنسانى بإطلاق عصوره.

كانت عشرات الملايين تدق الكعب فى صوت واحد ونفس واحد، وفى صورة سلمية حضارية هائلة، ومن أول لحظة اجتمعت فيها الحشود فى الساعة الخامسة الموعودة، بدا أن حكم الإخوان قد جرى سحقه، وأن مرسى سقط إلى غير رجعة، وبأمر الشعب الذى صار القائد الأعلى للقوات المسلحة، ولم تكن من بقية غير مراسم الدفن وتشييع جنازة الإخوان، ولم يكن للقيادة العامة للقوات المسلحة سوى أن تصدع لأمر الشعب قائدها الأعلى، وأن تنفذ الأمر فى انضباط وطنى صارم، وبعد مهلة الثمانى والأربعين ساعة، والتى انتهت ببيان الفريق أول عبد الفتاح السيسى ابن مصر البار، والرجل الأوفى لتقاليد جيش الشعب المصرى، وسليل القادة العظام من «أحمس» إلى «إبراهيم باشا» إلى «جمال عبدالناصر».

وللمصريين الآن أن يفخروا بأن الله خلقهم كذلك، والحمد لله الذى خلقنى مصريا، وكانت يده الحانية تشد أزر عشرات الملايين الذين صنعوا أعظم ثورة، ونفضوا عنهم حكم الإخوان، وعلى طريقة هش ذبابة بمنفضة، وثبت - عند

لحظة اليقين ـ ما قلناه، وما كنا نثق ونؤمن به كإيماننا بالله خالق السماوات والأرضين، وهو أن الشعب المصرى ولد من جديد، وبصورة تستعيد أنصع صفحات تاريخنا الوطنى الجليل، فلم يتخلف مصرى واحد عن نداء وطنه وأمته، فى لحظة الخطر، فالشعب المصرى الذى صنع ملحمة ٩ و١٠ يونيو ١٩٦٧، وتدفقت ملايينه عن بكرة أبيها فى الوداع الأسطورى للقائد جمال عبدالناصر، الشعب المصرى الذى لم يخذل ثورة عرابى زعيم الفلاحين، والذى صنع انتفاضة ثورة ١٩١٩، وهو ذاته الشعب المفجر لانتفاضة ١٩٧٧، وهو الشعب المصرى الذى قد يخدعك سطحه الهادئ السلس، الشعب المصرى الذى له طبع النيل، قد يغيض صوته أحيانا، لكنه يعود فيفيض، وفى اللحظة ذاتها التى تظن فيها أنه استكان، أو أنه أخذ سنة من نوم، الشعب الهادئ كصفحة النيل، والذى يتحول فى لحظة إلى بلد داهس كأقدام الفيل، وقد فعلها الشعب المصرى الذى لا يخلف وعده، فعلها فى الموجة الأولى من الثورة المصرية الجارية بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١١، وخلع مبارك بمبادرة أقل من مائة ألف ثورى، كانوا «كتلة حرجة» رفعت الغطاء عن آبار الغضب، وصنعت أسطورة ميدان التحرير مركز إلهام الدنيا كلها، وكان صمود الميادين الذى اجتذب مئات الآلاف، ولم يكن للجيش المصرى وبرغم وهن قيادته يومها، إلا أن يصدع لأمر الشعب، وذهب بمبارك إلى مزبلة التاريخ، كانت دورة يناير ٢٠١١ كأنها أول الغيث، فقد بدأت بمبادرة عشرات الآلاف، وانتهت بالملايين فى لحظة الفرح المذهول بخلع مبارك، وانفكت «عنّة» عابرة أصابت الخيال الشعبى، وبدت تجربة يناير ٢٠١١ كأنها اجتراح أول للمعجزة، وتحت ضغط محنة لحقت، واتصلت من حكم مجلس طنطاوى وعنان إلى حكم الإخوان البائس العاجز، تحت ضغط المحنة ولدت المعجزة، وتحولت نقمة حكم الإخوان إلى نعمة سابغة، وسرى الوعى الثورى سريعا وعميقا بين طبقات المصريين، واكتشفوا القوة الكامنة فى ملايين الناس

حين يحتشدون، وبدت وجوه التفريغ والتفزيع خائبة كالحة، فما من قوة على وجه الأرض تستطيع أن تعاند وعى وحيوية متدفقة لعشرات الملايين من الناس، ومنذ اللحظة الأولى التى طرحت فيها استمارة «تمرد»، بدا أن مصر كلها تتحول إلى شعب من المتمردين، شعب لا يخاف أحدا غير الله، ولا يرهب أحدا، ولا تحرف وعيه كهانة ولا شعوذة، وكان عبور المصريين لحواجز الخوف يشبه اقتحام جيشنا العظيم لخط بارليف، فقد اختص الله شعبنا العظيم بصناعة المعجزات، وأودع فيه طاقة الخلق الإنسانى المقتدرة، وهو ما بدا فى أيام الموجة الثالثة للثورة التى أطاحت فى ثانية بحكم الإخوان، فلم يسبق لشعب فى مطلق التاريخ البشرى أن صنع ثورة بحجم الثلاثين من يونيو، ولم يسبق لشعب أن احتشدت عشرات ملايينه دون خناقة أو مضايقة شخصية واحدة، لم يسبق لشعب أن نزل بقوته الحية كلها إلى الشارع دفعة واحدة، وهو ما انتهى بالرئيس المجزوع محمد مرسى إلى مصير الرئيس المخلوع فى غمضة عين، وحول حكم الإخوان إلى جناح بعوضة، وجعل كلامه عن الشرعية هذيانًا وجنونًا، فالشرعية يصنعها الشعب، وشرعية الثورة تجب ما قبلها، تماما كما أن الأديان تجب ما قبلها، فإرادة الشعب من إرادة الله، وقد أراد الله، وأراد الشعب، ولا راد لمشيئته، أراد الله نهاية لحكم الإخوان لم يسبقها إليهم أحد، أراد الله - بقوة الشعب - أن يخزى قيادة الإخوان العميلة للأمريكان، وأن يجعلهم عبرة لمن يتعظ، وأن يحنو على مصر البلد الذى خلقه الله آمنا مهابا، وأن يوحد المصريين كقبضة يد، وأن يزيل وهنهم فى لحظة ثورة، كنا نثق أنها آتية كاسحة، وفى صورة فيضان يغسل أدراننا، ويعيد مصر إلى خلقها الأول لها المجد فى العالمين.

يا الله، فى ثانية واحدة حلت فى الخامسة مساء الثلاثين من يونيو ٢٠١٣، فى ثانية واحدة كانت مصر تحتشد بمسلميها ومسيحييها، فى ثانية واحدة كانت مصر تحتشد بشيوخها وشبابها وأطفالها، فى ثانية واحدة كانت مصر تحتشد برجالها ونسائها، فى ثانية واحدة كانت مصر تتجلى كتجلى السيدة مريم العذراء،

فى ثانية واحدة كانت مصر تحتشد ببركة مقامات السيدة نفيسة والسيدة زينب والسيدة عائشة والإمام الحسين، فى ثانية واحدة كانت مصر تحتشد من الإسكندرية إلى أسوان، ومن رفح إلى السلوم، فقبل آلاف السنين، كان الملك مينا يوحد القطرين، وفى الخامسة مساء الثلاثين من يونيو، كانت الثورة توحد الوجدانين، فقد بدا صعيد مصر فى عزله ظاهرة عن الموجة الأولى لثورتنا الراهنة فى ٢٥ يناير ٢٠١١، ثم بدت العزلة الصعيدية أكثر ظهورا مع الموجة الثانية وفى ١٩ نوفمبر ٢٠١١، لكن صعيد مصر - بعواصمه ومدنه وقراه وأوجاعه - دخل فى موجة الثلاثين من يونيو بقوة عاتية، ولم يعد - كما كان إلى شهور - ملجأ آمنا لدعوات التخلف المهنية للإسلام، وزحفت جغرافيا الثورة من القاهرة ومدن القناة والوجه البحرى إلى الوجه القبلى، وصارت جغرافيا الثورة بحجم جغرافيا مصر كلها، وكانت تلك واحدة من كرامات الثلاثين من يونيو، والتى استعادت للشعب شرطته وقوات أمنه، وأزالت - فى غمضة عين - جفوة طالت وخصومة استحكمت، ولم يكن للجيش المصرى إلا أن يطيع أمر الشعب المصرى قائده الأعلى.

نعم، مصر الآن متأهبة على خط النار، وسحقت إرهاب الإخوان، ووضعت عينها فى عين الشمس، وعادت بهية متألقة وصانعة للمعجزات، وتعيد النجوم إلى مداراتها، وتكتب تاريخ العالم من جديد.

"صوت الأمة " فى ٨ من يوليو٢٠١٣